

مهمة استخباراتية للجيش الروماني في "أقناب" بجبال عمور سنة 174م

Intelligence Mission of the Roman Army at Aguenéb in the Amour Range in 174 A.D

أسامة بقار¹*

¹ جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، o.bagar@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2024/11/01

تاريخ الإرسال: 2024/09/05

ملخص:

إن اكتشاف عمود سنة 1878 على الضفة اليمنى لوادي "أقناب" الواقعة شمال جبال عمور، بين البيض وأفلو، والذي نحتت عليه نقيشة لاتينية قد سمح من التعرف على وصول الجيش الروماني لهذا الموقع. على أن تبعية تلك القوات لحامية "نوميديا" وتقدمها لهذا المكان البعيد الواقع في أقصى جنوب مقاطعة موريطانيا القيصرية يفتح الباب للعديد من التساؤلات التي تحتاج لإجابات. تبعا لذلك، تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على جملة الإشكاليات التي تطرحها هذه الوثيقة الهامة: ضبط مضمونها في ظل الكسور التي تعرض لها النص، ثم مناقشة تراتبية العناصر المشاركة في الغارة ومناقشة أهداف تلك القوات من تواجدها في ذلك الموقع وإبراز المكاسب المحققة من هذه العملية. لقد سمحت هذه الدراسة من استنتاج أن العملية كانت ذات طابع استخباراتي، فتقدم الجنود لعمق أراضي "البرابرة" لاكتشاف بلادهم وقدراتهم الحربية، ما سمح لاحقا من بشن عمليات حربية وربما إلحاق المنطقة بالسيطرة الرومانية.

كلمات مفتاحية: مهمة؛ استخباراتية؛ جيش روماني؛ أقناب؛ جبال عمور.

Abstract:

The discovery of column in 1878 on the right bank of the Oued Aguenéb, north Djebel Amour, between El-Bayadh and Aflou, on which a Latin inscription was engraved, led to identify the arrival of the Roman army to this site. However, the fact that these forces were part of the Numidian garrison and approaching this distant location in the far south of the province of Mauretania Caesariensis raises many questions to be addressed. This article attempts to shed light on several issues: determining its contents in spite of being broken, discussing the hierarchy of the elements involved in the raid, and finally examining the objectives behind the existence of these forces there, as well as highlighting the gains achieved from this operation.

Keywords: Mission; Intelligence; Roman army; Aguenéb; Djebel Amour.

* المؤلف المرسل.

1-مقدمة

حظيت مسألة حماية الحدود والأمن القومي خلال الفترة القديمة بأهمية بالغة، إذ كان لكل دولة قلاع وأبراج أمامية تدافع عن مجالها، ولها عيون وجواسيس ينشطون على التخوم وداخل أراضي الأعداء لجمع ول إلى معلومات وإفادات تخدم مصالح الدولة وسياساتها. من هذا المنطلق، نجد أن الإمبراطورية الرومانية خلال فترة احتلالها لبلاد المغرب عملت على إقامة مخافر أمامية شُيد العديد منها قرب الواحات ومناطق العبور الحتمية والجهات السهبية، ومن تلك المنشآت ينشط الفرسان وقوات مدربة على الاستطلاع والاستكشاف والتجسس على القبائل غير البعيدة والعدائية بسبب وجودهم. في الواقع، إنه على الرغم من أن معارفنا حول مسألة التجسس والاستخبارات خلال الفترة القديمة متواضعة، إلا أن "حرب المعلومات" كانت بالغة الأهمية في الصراع، تماما كما هو في زمننا الحالي. وعلى نفس المنوال، كانت الإمبراطورية الرومانية منخرطة في عمليات سرية تستهدف أعدائها والتي تتجاوز رصد غارات القبائل أو خطر حدوث اجتياح واسع، إلى ضرورة السيطرة على تحركات الرحل المنتجعين وما قد يجلبونه من مشاكل. ولتنفيذ هذه المهام، ضم الجيش الروماني في صفوفه عناصر مختصة في العمل المخبراتي هم "المناوشين المتقدمين" (procursores) والكشافين/الاستكشافيين (exploratores) والجواسيس (speculatores) وأعوان الاستخبارات العسكرية (frumentarii).

ونظرا لتجدد المخاطر على حدود الإمبراطورية عهد الإمبراطور "ماركوس أوريليوس"، ومن بينها خطر القبائل المورية في الموريطانييتين القيصرية والطنجية، زادت أهمية أعمال الاستعلام والاستخبارات للقيام بأعمال استباقية تقلل الأضرار. وبغية حماية الحدود النوميديّة-الموريطانية شيد الرومان معسكر "مجدل" الذي يسمح لهم بمراقبة تحركات الرحل العابرين لمنطقة الحضنة وجبال أولاد نايل سنة 148-149م. أما المشروع الأهم والذي سيتم العمل عليه خلال النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي والنصف الأول من القرن الثالث ميلادي كان التحكم التام في الإقليم المجاور لوادي جدي الذي ينبع من جبال عمور ويتجه غربا ليصب في شط ملغيغ، وذلك من خلال نشر مجموعة معتبر من الحصون وإقامة أنظمة دفاعية خطية، ما يسمح بتحقيق مراقبة وتحكم كبيرين في تحركات المسافرين والرحل، وهي المهمة التي كلف بها برج للاستطلاعيين أقيم قرب "القنطرة". وقد تجاوز الرومان عملية إقامة منشآت حدودية تنطلق منها دوريات الرصد والاستطلاع إلى القيام بمهام استخباراتية في عمق أراض بعيدة عن الحدود، وفي قلب أراضي قبائل لا تخضع للسلطة الرومانية. في هذا الصدد، عُثر على نقيشة معزولة في منطقة "أقناب" الواقعة بجبال عمور وهي عبارة عن إهداء نذري حُرر سنة 174م عند نهاية مهمة نفذتها قوات من وحدتين مساعدتين والتي اختلفت في طبيعتها وغاياتها. من هذا المنطلق، تحاول هذه الدراسة العودة إلى هذه النقيشة لمناقشة جزئيات متعددة وإبراز أحد الأعمال المجهولة للجيش الروماني

على خط الليمس وهو القيام بمهام استخباراتية تؤدي لتحقيق معرفة أعمق بالإنسان والمجال المغاربي، ومناقشة انعكاسات العملية على تلك المناطق الحدودية.

2- نقيشة العملية؛ الاكتشاف والترجمة:

لقد تم التعرف على هذه الغارة بفضل نقيشة نُحتت في "أقناب" الواقعة في جبال عمور بين "البيض" و"أفلو" على بعد 2 كلم من بلدية "الحاج المشري" بولاية الأغواط، والتي تعد دليلاً هاماً على التوغل الروماني لهذه الجبال. وإذا كان اكتشاف حجارة النقيشة المحفوظة اليوم في الحديقة العمومية لمدينة "أفلو" في سنة 1878 من قبل الملازم "تورناد" (Tournade) الذي كان يشغل مساعد في المكاتب العربية، فإن "هيرون دوفيلفوس" كان كاتب الرسيمة الأصلية للنقيشة المكتشفة على الضفة اليمنى لوادي "أقناب" (ارتفاعه يصل لـ 1300م) الذي هو رافد صغير لوادي القصب (Ksob) الذي يصب في الشط الشرقي، أي على المنحدر الغربي لسلسلة جبال عمور. ونُقش النص على "عمود (مونوليث) من الصخر الرملي يأخذ شكل جذع موشوري"، مُكسر إلى قطعتين ونحتت النقيشة على وجهين. إن الرسيمة الأولى التي وضعها "هيرون" تم إعادة نسخها من قبل ضباط آخرين: الطبيب العسكري "هنري" (Henri Colin) والنقيب "مونييه" (Meunier)، والذين كانا وراء توثيق "هيرون". ووفقاً للمعاينات التي تمت من قبل المكتشفين في تلك الفترة، فإنه إذا كانت هنالك قطعة ناقصة بين الشظيتين الموجودتين، فهي ذات أبعاد صغيرة. والشظيتين اللتان بحوزتنا، ارتفاع الأولى هو 1م، والثانية 1.30م، وبالتالي فإن هذا المعلم التذكاري الخشن في أصله يصل ارتفاعه إلى أكثر من 2.30م (Austin, 1995, pp. 57-63) (ينظر الملحق 01).

تحولت الرسومات الأولية والأرشام إلى أساس لأول نشر في دورية "نشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لوهرا". واستناداً إلى هذه الوثائق، اجتهد المكتشفون في تقديم أول قراءة للنقيشة، والتي ظهرت بشكل غير واضح (مشوش)، على أن الهام فيها أنهم أشاروا لتنفيذ عملية سبر في المكان بقيادة الجنرال "سيرس" بعمق 1.80م وعرض 2.50م والتي لم تكشف عن وجود أي عظام، ولا عملات، ولا أي أثر لتشييد في الموقع وهذا ما جعل البعض يعتبر وكأنها مجرد صوة ميلية كلاسيكية. إن هذه المحاولة الأولى اعقبت بنشر مقال آخر أنجز من خلال الوثائق من قبل العالم الأثري "فيلفوس" الذي قدم قراءة سمحت بتأريخ هذا المعلم وتحديد هوية محجريه، وهذا على الرغم من أنه لم ير إطلاقاً الصخرة (Morizot P., 2011, pp. 572-573) (Morizot P., 1999, p. 193). وبالاستناد إلى هذه الوثيقة والرسم الرديء، والذي كان نتيجة عدم رؤيته للوثيقة الأصلية، راح "شميت" متكئاً على سلطة "مومسن" في تقديم تفسيراته للنقيشة. وهو الإصدار الذي اعتمد عليه كل من "مومسن"، "كانيا" و"ويلمانس" بعد سدّ وتكملة الثغرات في نشر الوثيقة ضمن مُدونة النقوش اللاتينية (C.I.L., VIII, p. 21567). وتم نقل حجر النقيشة أو على الأقل جزء منه في تاريخ

غير مُحدد إلى مقر البلدية المختلطة بأفلو. وفي سنة 1949، استطاع "ب. سلامة" التقاط مجموعة من الصور التي تعد شاهداً على وجود هذا المعلم الهام الذي تعرضت العديد من حروفه للتلف نتيجة عوائد الدهر. ولا تقدم الخريطة الأثرية لديبوا (J. Despois) أية إفادة متصلة بالنقيشة تشير إلى وجود أنقاض قديمة في الفضاء الواقع أعلى "عين آقناب" والمسعى "قصر الوعر" (Ksar el Ouar)، وأورد صوراً فوتوغرافية لا تكشف من أول نظرة عن وجود أي آثار رومانية بالمكان. على أن وجود منبع بهذا المكان يُمكن أن يفسر سبب اختيار هذا التوضع لنحت النقيشة التي احتاجت حسب "موريزو"، لمدة 15 يوماً على الأقل لتحريها نظراً لطولها، وطبعاً لاستكشاف الموقع وتنفيذ المهمة المطلوبة (Morizot P., 1999, p. 193).

إن أحد أهم التحديات التي تواجه الدارسون للموضوع هو صعوبة تقديم ترجمة لهذا النص نظراً لأن النص يحتوي على العديد من الثغرات (النواقص)، والتي تطرح العديد من المشاكل. ولهذا من الصعوبة بمكان تقديم ترجمة متسقة. على أن هذا لم يمنع البعض من تقديم ترجماتهم للنص. في هذا الصدد، يمكن، على سبيل المثال، تقديم أربعة أمثلة على سبيل الذكر لا الحصر، تظهر الصعوبات التي تواجه الباحث في عملية ترجمة النص: 1- عبارة "الآن ها أنا أعود" (iam [reversus]) تجعل القارئ يتساءل "يعود" من أين؟ ومتى؟ 2- ترجمة كلمة "adfectus" "بالعاطفة" (affection) جد فضولية، فالأكيد أن الجنود يحبون الإمبراطور الذي هو بمثابة القائد الحقيقي للجيش، وبطبيعة الحال قائدهم المباشر المفوض الإمبراطوري. بهذا، فإن القول أن شعورهم بالعاطفة تجاههما قد يجعلنا نقع في المعنى الزائف للمقصود. 3- ترجمة عبارة "in hac ex[pe]ditione [caut]us fueris" على شكل: "أنت.. الذي قمت بإثبات الاحتراز (التيقظ) في هذه الحملة" تجعلنا نعتبر أنه لو صح إعادة تشكيل كلمة "cautus"، فإنه يجب أن يُفهم: "أنت الذي شاركت في هذه الغارة (الحملة) بحذر (تبصر prudence)". في الواقع، إن توظيف الأمثلة "salvus" بمعنى "سالم=آمن وسليم sain et sauf" ليست سيئاً ولا أقل احتمالاً. 4- أخيراً تحويل ترجمة "I«a»eones" إلى "أسود بلا حفر=نقش" قد يظهر التأويل المفرط للنص. وعلى الرغم من هذه الملاحظات، أقدم هذه الترجمة للنقيشة (C.I.L., VIII, p. 21567):

-الوجه الأول:-

"من أجل سلامة (خلاص) الإمبراطور "ماركوس أوريليوس أنطونينوس" المُبجل، قاهر (المنتصر على) الأرمنيين، القاهر الأعظم للبارثيين، قاهر الميديين والجرمانيين، وإلى عائلته المعبودة. الآن ها أنا عائد بعد أن أوفيت (أنجزت) بطبيب خاطر النذور التي تعهدت بها تجاه كل الآلهة. ومن أجل سلامة "م. آيميليوس مافر" (M. Aemilius Macer) مفوض الإمبراطور ذو

الصلاحيات البرايتورية، الرجل اللامع (لقب شرقي لرجال الفئدة السيناتورية). وبفضل توصية (تصويت suffrage) الإمبراطور المبجل سُجلت ضمن الضباط (كفائد مائة ordinatus) بعد أن عرف مآثري التي جعلت كذلك رفاقي يحتفلون بي بعاطفة (موددة) مماثلة. لقد رويت بشمول كل الأعمال التي أنجزتها بمساعدة الآتون: "م. بروتوريوس أبتاتوس" (M. Bruttius [Op]tatus) قائد العشرة بالجناح الفلاوي، "بوبيليوس" (Popilius E[]) قائد العشرة بالكتيبة السادسة للكوماجينيين و"فلاويوس فليكس" (Flavius Felix) مُميز (beneficiarius) [قنصلي أو للنقيب tribun]، "أوريليوس أبتاتوس" (Aurelius Optatus) ضابط صف ذواتب مضاعف (duplicarius) بالجناح الفلاوي، وضباط الصف الذين يحصلون على راتب ونصف (sesquiplicarii): "جيرمانوس" (Germanus [...])، "سرويليوس ينواريوس" (Servilius Ianuarius)، "يوليوس برُقصوص" (Iulius Processus)، و"أسينيوس إميريتوس" (Asinius Emeritus).

الوجه الثاني:

"من أجل أن تعرف، أنت الذي كنت مشاركا، والذي أثبت الاحتراز (الحيطة) في هذه الحملة [أو أنت الذي شاركت آمنا وسليما (نجوت) في هذه الحملة]، والذي سيقراً هذه النقوش دون أن يقول كلمة. لقد قمت بنحت أسود (أو قمت بتقديم قرابين مُكرسة أو رفعت مذابح) خلال أربعين يوما على شرف الإله الأعظم الحامي للمكان "ثاسونوس" (Thasunus) ولقوته الإلهية (روح الإرادة المقدسة). سواء كان إلها أو ربة. لقد كتبت هذا خلال قنصلية كل من "فلاقوس" (Flaccus) و"غالوس" (Gallus) في [...] قبل كالنداي (calendes) شهر جوان، وهو اليوم الذي رُقيت فيه من رتبة قائد العشرة إلى القيادة المثوية. لقد أوفيت (أنجزت) بنذري بأسمي الخاص، أنا "قاتولوس" (Catulus)، قائد مائة بالفيلق الأوغسطي الثالث" (Legrand D. , (Hamdoune, 2012, p. 189) (Morizot P. e.-N., 2014, p. 241) (Morizot P. , 2011, pp. 572-573) 2008, pp. 75-76).

قبل مناقشة إشكاليات النقيشة تجدر الإشارة إلى أن "أقناب" تقع على الحافة الغربية لجبال عمور الذي تبعد بحوالي 350 كلم إلى الجنوب-الشرقي لوهران، وحوالي 350 كلم إلى الجنوب-الغربي من مدينة الجزائر، وهي جزء من سلسلة الأطلس الصحراوي المُشكلة أيضا من جبال النمامشة، الأوراس، جبال بسكرة وأولاد نايل وجبال القصور. هذه السلسلة تحاذي إلى الجنوب ناحية الهضاب العليا، وهي تشكل منطقة انتقالية نحو العالم الصحراوي. تتميز السلسلة بغطائها وبلعها دور برج مياه مع منبعي وادي الشلف وجدي. بمنطقة "أقناب" نجد رسوماً صخرية وجثوماً (tumuli) شاهدة عن قدم التواجد البشري، والتي كما أشرنا لا يبدو أنها كانت منطقة حضور روماني فعلي باستثناء ربما في موقع وادي "مزي" (Mzi) على بعد 60 كلم عن "أقناب" أين توجد

خرائب غير مؤرخة مرثية عبر الصور الجوية التي درست من قبل "موريزو" (Morizot P., 1999, pp. 185-212). إن هذا النص مؤرخ في ربيع سنة 174 م بالاستناد على الإشارة إلى المفوض الإمبراطوري "م. آيميليوس مافر" الذي شغل قيادة الجيش ما بين 172-174 م، وهو ما تؤكدته العديد من النقوش المكتشفة في: لامبايزيس، تيمقاد، مركونة، جميلة، خنشلة، بسرياني وقيرطا، وفي سنة 174 م تقلد منصب "القنصل العادي". وتحت حكم الإمبراطور "ماركوس أوريليوس" الذي حمل لقب "قاهر الجرمانين" سنة 172 م، وفي 175 م لقب "قاهر السارماتيين" (Sarmaticus)، وهو اللقب الذي لم يذكر في النقيشة، وكذلك بالاستناد على القنصلين المذكورين في النقيشة.

إن الصعوبات التي تواجه المختصين في علم النقوش في دراسة هذه النقيشة منذ اكتشافها، ومساعدتهم الحديثة لتقديم قراءة أكثر اتساقا للنقيشة ستبقى دائما نسبية باعتبار أن مقترحاتهم قابلة لتأويلات أخرى، لذلك، فالأهم هو تقديم القراءة العسكرية لهذه الوثيقة التي يُمكن تثير حولها العديد من المواضيع، لكن سنركز على: تراتبية طاقمها والمهمة المكلفة بها ونتائج المهمة.

3-تراتبية قوات المهمة:

لا تشير النقيشة إلى كل الأفراد المشاركين في الحملة، بل تكتفي بذكر الرتباء والذين ينتمون لوحداث مساعدين تابعة للفيلق الأوغسطي الثالث. وبالعودة إلى الرتب التي توردها الوثيقة، نجد أنها عموما ثرية حيث تشير إلى أربعة ضباط صف يتحصلون على "راتب ونصف sesquiplarii"، ضباط صف ذو راتب مضاعف يحمل بالجنح الفلاوي، ونجد "مُميز" وثلاثة قادة عشرة (décurions). في الواقع، لم تعد مسألة تصنيف الجنود تطرح إشكاليات كما كانت في وقت مضى، لهذا نعرف أن كل من ذوو الراتب والنصف وذوو الراتب المضاعف؛ الصنف الأول هم من جماعة "المعفيون الرئيسيون" (immunes principales)، أي أولئك الجنود الذين تم إعفاءهم من أعمال السخرة (immunes) مع تحصلهم على راتب ونصف. أما الصنف الثاني، فيندرج ضمن ذات الفئة على أنه يتحصل على راتب مضاعف، ويُطلق على هذه الجماعة في اللغة اللاتينية تسمية duplarii=جندي ذو راتب وجراية مضاعفة (Le Roux, 2012, pp. 523-532). (le Bohec, 2015, p. 211) مع ذلك، أحدثت رتبة "المميزين beneficiarii" انقساما بين الباحثين، بين من رأى أنه يجب إدراجهم ضمن صنف "المعفيون الرئيسيون"، وفضل آخرون وضعهم بعد قادة العشرة وقبل ذوو الراتب المضاعف؛ يتفق الغالبية على أنهم كانوا يحصلون على راتب ونصف (Nelis-Clément J., 2000, p. 557p)

إن الإشكال المطروح هو معرفة لأي شخصية كان يخدم هذا "المميز" باعتبار أن التكملة مفقودة في هذه النقيشة، ما فتح الباب لاقتراحات عديدة من قبل الباحثين. بهذا الخصوص، يمكن أن نصنف هذا النوع من ضباط الصف إلى مجموعتين، يسمون بعضهم "مميزي ضابط ما"، والبعض الآخر هم مميزو نوع ما من الوحدات العسكرية. إذا نظرنا للمسألة منطقياً، فإن الأقرب للصواب أين يكون هذا الجندي هو "مميزاً تابعاً لكتيبة" (*beneficiarius cohortis*) باعتبار أن الأسلاك المعنية في هذه المهمة تنتمي لوحدة من المساعدين: يمكن في هذه الحالة الاعتقاد كذلك أنه مميز تابع للجنح. على أنه "ويلمانس" في مدونة النقوش اللاتينية يشير إلى أنه يجب أن يُقرأ "مميز تابع للنقيب" (*beneficiarius tribuni*)، وهو طرح يدفع لاقتراح أنه قد يكون "مميز تابع للمحافظ (قائد الوحدة) *praefecti*". مع ذلك يفضل آخرون فرضية أنه "مميز قنصلي"، أي تابع للمفوض الإمبراطوري الذي أصبح موعوداً بشغل منصب القنصل العادي في روما، وهذا لكون هذا اللقب أكثر جدارة بعد اسم قادة العشرة. إن الأكيد أن هذا الإشكال سيبقى بلا حل وستبقى كل الفرضيات نسبية، وما يجب التأكيد عليه هو أن المميزين هم ضباط صف يخدمون كإداريين وعسكريين. أي كرجال سكرتارية ومحاربين (le Bohec, 2015, (Nelis-Clément J., 2000, p. 425) p. 211).

وعلى الرغم من أهمية "قادة العشرة"، إلا أنه لم تتم دراستهم بالشكل اللازم. فنعرف أنهم يدخلون ضمن صنف الضباط المرؤوسين، في حين قسمت مناصب الضباط السّامين بين الفئتين السيناتوروية والفرسانية. ومع ذلك، يمكن لهم على سبيل الاستثناء القدوم من فئة الفرسان أين يُطلق عليهم حينها تسمية "المنحدر من فئة *ex equite romano*"، وهو ما يفتح لهم آفاقاً لترقيات سريعة وكبيرة. على الرغم من أن قادة العشرة يصنفون ضمن الرئيسيين، إلا أنهم في الواقع يمكن اعتبارهم من "الأعيان المحليين" وقد تمتعوا بصلاحيات ومهام مختلفة (le Bohec, 1989-2, pp. 37-47) (le Bohec, 2012-1, pp. 83-98) (le Bohec, 2012-2, pp. 173-179) (le Bohec, 2015, p. 212). في هذا الصدد، يكشف المؤرخين "فلافوس" و"هيجينيوس المنحول" أن الكتيبة المختلطة (*equitata*) تضم في صفوفها 120 فارس وثلاثة قادة عشرة إذا كانت كتيبة خمسمائية، أما إذا كانت كتيبة ألفية فهي تضم 240 فارس و06 قادة عشرة. بهذا فإن كل قائد عشرة يقود حوالي 40 فارس (2, 4, III, pp. 1927) (Josephus, 1927, pp. XXV-XXVII) (Pseudo-Hygin, 1979, pp. 1927). إن هذه المعطيات تجعلنا نصطدم بمشكلة عويصة في دراستنا لنقيشة "أقناب"، تتمحور حول تعداد الجنود الذين أرسلوا أو بالأحرى شاركوا في الحملة.

بهذا الخصوص، دار نقاش بين الباحثين حول طبيعة هذه العملية المنفذة، فهل كانت "حملة" (*expedition*) أو "غارة" (*raid*)؟ وعلى أساس تحديد طبيعتها، يُمكن تقديم تصور لعدد أفرادها. تبعاً لذلك، فإذا تم اعتبار أنها غارة، فهذا معناه أن العدد متواضع ونصبح أمام طرح

مفاده أن كل قائد عشرة أخذ مجموعته معه، وبالتالي يصل عدد قواتها إلى 120 فارسا. وبطبيعة الحال، هذا العدد يصعب تصديقه لاعتبارات عديدة. أولها أن النقيشة لا تشير لجنود عاديين شاركوا في هذه العملية، لهذا من التهور الإقرار بأن هؤلاء الرتباء كانوا مرفقين بعشرات الجنود. علاوة على ذلك، يتغاضى جل الباحثين عن أن المميزين بدورهم كانوا يشرفون على "مخافر=محطات" في عديد المواقع : "زوي"، "القنطرة"، "القهرة"، أي أنه كان تحت تصرفهم عشرات الرجال. لذلك، نميل لكون المميز المشارك في العملية هو تابع للمفوض الإمبراطوري (النقيشة مهدية لهذا الأخير وللإمبراطور)، وأن مجموعة من الفيلق شاركت في المأمورية، ما يرفع عددها إلى ما يقارب 150 جندي، وهذا دون أن نستبعد أن ضباط الصف (أصحاب الراتب المضاعف والراتب ونصف) قد يكونون على رأس قوات تجعل العدد يصل لحوالي 200 جندي على الأقل (Hamdoune, 2012, pp. 194-200) (le Bohec, 2015, p. 212) (Nelis-Clément J., 2000, pp. 170-172) (Legrand D., 2008, pp. 73-82). علاوة على ذلك، تشير النقيشة إلى إفادة هامة تتمثل في أن أحد قادة العشرة حصل على ترقية وأصبح قائد مائة بالفيلق الأوغسطي الثالث: "سُجل في قائمة الرتباء" (ordinibus adscriptus)؛ على أنه يلاحظ أن كلمة "ordo" لها معان عديدة في اللغة اللاتينية، وكذلك في المعجم العسكري، وفي حالة هذه النقيشة، فما من شك بأنه يعادل رتبة قائد المائة (le Bohec, 2015, p. 213) (Gilliam, 1940, pp. 127-148).

إن هذا يدفع للتساؤل عن كيفية ترقيته إلى هذه الرتبة الهامة في الجيش الروماني؟ في نص النقيشة، نلاحظ يعرض ظروف ترقيته التي تمت عبر "تزكية" (suffragatio) المفوض الذي يعد شخصية قوية ومؤثرة، خصوصا وأنه وصل لمنصب "القنصل العادي" سنة 174م، فقدم للإمبراطور رسالة توصية وتزكية تتعلق بقاتولوس تتضمن لجوئه إلى حق التصويت لترقيته، وهو ما وافق عليه الإمبراطور (Legrand, 2008, p. 77). لقد كان أمام "الرئيسيون" طريقتين للوصول إلى فئة الضباط المأمورين: قد يكون مدينا للجنود الذين هلكوا (صاحوا) لترقيته، وهو الإجراء الذي يُسمى "التصويت الفيلقي" (suffragium legionis)، والذي لا ينبغي الخلط بينه وبين الموافقة والتزكية suffragatio، فهذه الحالة الأخيرة هي اختصاص السلطات العسكرية العليا (le Bohec, 2015, p. 213) (Faure, 2007, pp. 319-331) (Tacitus, 1925, pp. III, 49). وهناك طريقة أخرى تم اتباعها في هذه الحالة: على ضباط الصف انتظار النية الحسنة لقائده الأعلى، والممثل هنا في شخص المفوض الإمبراطوري، والذي على الأرجح أخذ برأي قائد الوحدة التي يعمل بها، والمتمثل في "المحافظ" أو "النقيب" الذي يشرف على وحدة المساعدين المنتهي لها (le Bohec, 2015, p. 213).

4-نقاش حول غايات المهمة:

إن السؤال الأكثر أهمية وخلافية بين الباحثين دار حول دواعي المهمة وأهدافها، والتي يمكن القول أنها تمحورت حول أنها إما غارة استكشافية أو حملة عسكرية، مع فرضية ثالثة هي أنها كانت رحلة صيد. نتصور أنه أيا كان موقع حامية الوجدتين المساعدتين المذكورتين، فإن مغادرة هذه "الفصيلة المدمجة" كان من "لامبايزيس" أين تم وضع مخطط العملية ومنحهم المفوض التعليمات مع إرساله للمميز برفقتهم. ومن الصعوبة بمكان أن نحدد خط سير البعثة للوصول إلى الوجهة والهدف المُحددين، والتي تمتاز بأنها نقطة تقع ما وراء الحدود الإقليمية للدائرة العسكرية لنوميديا. مع ذلك، يعتقد "موريزو" أن الفرقة سلكت طريق عُلِمَ بمجموعة من المراكز العسكرية الاستراتيجية الواقعة على نقاط لعبور الأشخاص والبضائع، والذي يعبر الأوراس قبل أن يُفضي إلى سهول بالجنوب-الغربي من "القنطرة"، ومن ثمة الوصول إلى "القصبات"، التي منها تم التوجه إلى "أقناب" عبر "القهرة"، "عين الريش"، "مسعد"، ومن حوض وادي جدي وصولاً إلى الأغواط، ثم صعد حوض رافد صغير لوادي جدي يُسمى "وادي مزي" الذي وجدت بجواره أنقاض يصعب تأريخها (Morizot P. , 1999, p. 192).

في الواقع، لم يتحكم الرومان بشكل كلي في الجزء الأكبر من هذا المسلك إلا في عهد الأباطرة السويزيين مع تشييد قلعة "مسعد" سنة 198م، ثم شغل مركزي "عين الريش" و"القهرة" في بدايات القرن الثالث ميلادي، والتي كانت ترابط بها بانتظام عناصر من الوجدتين المساعدتين المذكورتين في النقيشة. لكن على الحدود مع "موريطانيا" وإلى الجنوب-الغربي من "نوميديا" نجد أن الجيش كان متواجدا منذ عهد "أنطونيوس بيوس" في مركز "مجدل" الواقع إلى الجنوب-الشرقي من "الشط الشرقي"، على بعد 67 كلم غرب "بوسعادة"، والذي بإمكانه أن يوصل عبر طريق جنوب الحضنة بطبنة المربوطة بدورها بلامبايزيس. إن النقيشة الشاهدة عن التواجد العسكري بموقع "مجدل" مؤرخة بـ 149-148م باعتبارها تشير إلى أن الإمبراطور "أنطونيوس" مؤزر بسلطة طبقة العامة للمرة الثانية عشر، وأعاد "سلامة" دراسة كشوفاته التقريبية المُفهرسة عند "غزال"، أين لاحظ أنها تتسم بخصائص الهندسة المعمارية العسكرية للقرن الثالث ميلادي، ما يعني أن القلعة شغلت منذ القرن الثاني دون انقطاع. تبعا لذلك، من الوارد كذلك-أمر لا يمكن اثباته-أن "قاتولوس" وصل لغاية جبال "عمور" مرورا عبر التخوم الجنوبية لنوميديا (مجدل) ثم التخوم الجنوبية لموريطانيا ويمكن اقتراح فرضية معقولة هي أن القوات تحركت انطلاقا من مرقية الجبال في "لامبايزيس" واتجهت نحو "القصبات" ومنها سارت غربا عبر وادي "جدي" وصولاً لجبال عمور وهذا ما يمكن من تحقيق اكتشاف أعمق بالمجال الواقع حول ذلك الوادي (A.E, 1991, p. 1705) (Gsell, 1911, pp. 35, 107-108) (Hamdoun, 2012, pp. 194-195) (Salama, 1991, pp. 194-195).

علاوة على ذلك، يُلاحظ أن "أقناب" تقع في الجنوب الغربي لموريطانيا القيصرية، وعلى مسافة بعيدة من التخوم الغربية لنوميديا، وأن البعثة انطلقت من "لامبايزيس"، وهو ما يثير تساؤلاً: لماذا بعث المفوض قواته إلى منطقة حدودية غير خاضعة لسلطته-ولا لسلطة حاكم موريطانيا القيصرية-؟ نتصور أن هناك فرضيتين وراء هذا التدخل الاستثنائي: قد يكون ربما نتيجة طلب من وكيل الإمبراطور على موريطانيا القيصرية، وما قد يدعم هذا الطرح هو أن قبل العملية بقليل تدخل المساح (librator) "نونيوس داتوس" (Nonius Datus) المنتمي للفيلق الأوغسطي الثالث للمساهمة في إنجاز قناة المياه المقنطرة بصلداي نتيجة طلبات قدمها حكام موريطانيا من المفوض وقد أكمل إنجاز القناة في حوالي 151-152م (C.I.L, VIII, p. 2728)، فما الذي يمنع من طلب التدخل العسكري بمنطقة غير بعيدة عن الحدود مع "نوميديا" وجيش مقاطعتها يعيش فترة هدوء تسمح بإرسال بعثات عسكرية إلى المناطق التي تحتاجها. أما التصور الثاني، فربما مثلت منطقة "أقناب" قاعدة لانطلاق عمليات عدائية ضد ساكنة الحدود بين المقاطعتين، أو ربما كانت هناك تحركات مريبة لقبائل محلية تستدعي اطلاع الجيش عليها لأخذ احتياطاته اللازمة، دون استبعاد فرضية التحرك العسكري ضد مجموعة قليلة معادية.

إن الموقع الذي اكتشفت به النقيشة كما أشرنا، يقع بجوار نبع مائي، على أنه لا يتوفر على أي أثر لهيئة عمرانية دائمة. وبالتالي، فإن الأقرب للصواب أنه حدث تخييم مؤقت في المكان لتنفيذ العملية المحددة وفي نهاية العملية خلد قائد المائة "قاتولوس" الحدث بنحت نقيشة. وبتعبير آخر، قامت الفرقة بتشديد قاعدة من الخيام ومواد سريعة التلف تنطلق منها الأعمال الاستكشافية التي نفذت طيلة الأربعين يوماً من الإقامة في ضواحي الموقع، وعشية إخلاء المخيم والعودة إلى "لامبايزيس" قام قائد المائة بتخليد ذكرى نجاح العمل ومُذكراً للأجيال القادمة بما رآه في دوريته (Hamdoun, 2012, p. 195). ولتأكيد تصور الإقامة المؤقتة نعزز فرضيتنا بأن اسم الفيلق لم يتعرض للجرش نتيجة حله سنة 238م، ومن ثم، فإن الجيش لم يشغل هذا الموقع بشكل دائم أو على الأقل لم يكن متواجداً به سنة 238م.

ويُمكن القول أن المعلقين على هذه النقيشة شبه مجمعين في تفسير هذه المهمة على أساس بُعد ومقصد عسكري نتيجة وجود واستعمال مصطلح "الحملة العسكرية expeditio" في هذا النص؛ إلا أن "مومسن" في CIL كان الوحيد الذي قدم فرضية كونها حملة صيد عبر اقتراح استعادة كلمة "f(erii)" أي "الحيوانات"، وهو ما يفسر حسب رأيه ذكر "الأسود". في الواقع، نعلم أنه يُمكن إرسال الجنود بعيداً بغية ضمان التزويد بمؤونة الشُّقر (الحيوانات المتوحشة ذات اللون الأشقر كالأسود، الظباء والأياثل) عبر الصيد، وهذا ما نملك شواهد له في "موسيسا السفلى"، أين خلدت في منتصف القرن الثاني عملية ناجحة لاصطياد الدببة والبيسون، لكن في تلك العملية لم يرد اصطلاح "الحملة العسكرية" بل كلمة "الصيد venatio". وعليه، فإن فرضية القيام بعملية

صيد منظمة بقدر ما قد تكون واردة، لأن هذه المنطقة كما تشير الرسوم الصخرية غنية بالثروة الحيوانية، إلا أنها مستبعدة نظرا لأنها تطرح مشكلة معتبرة من الناحية اللوجستية: كيف تم سحب الأسود (وغيرهم) حتى "لامبايزيس" دون أي أضرار؟ (Hamdoune, (A.E, 1987, p. 867) 2012, p. 196).

واعتبر "هيرون" أن العملية هي حملة عسكرية مخصصة لمطاردة الموريين الذين كانوا على علاقة بغارات الموريين على "بايتيكا" في 171 و 177م (de Villefosse, 1882, p. 28) (Villefosse, 1883, p. 124): تم التعرف على الأولى عبر المسار المهي لـ "إسبانيا الباييتيكية" في 170-171م ثم حاكم "إسبانيا الطراقونية" في 171-172م "ق. أوفيدوس ويقتريوس" (C. Aufidius Victorinus) (Pflaum, 1956, p. 124). والثانية عبر نقيشتين إسبانيتين تحتفيان بنجاح تدخل وكيل إمبراطور موريطانيا الطنجية "ق. واليوس ماكسيميانوس" (C. Vallius Maximianus) (C.I.L, II, pp. 1120, 2015). بهذا، فإن هذه الفرضية تقتضي حدوث تمرد عام لقبائل موريطانيا، من حدود نوميديا وصولاً إلى شمال موريطانيا الطنجية، وأن التحرك جاء ضمن عملية شاملة لقمع المتمردين استهدفت القاعدة الجنوبية التي قد تكون نقطة انطلاقهم في غاراتهم (Hamdoune, 2012, p. 196).

ويرى "بيكارد" أن هذه النقيشة الدالة عن بدايات الاهتمام الروماني بجبال "عمور"، هي لأفراد "مفرزة" من الفرسان اقتطعت من الفيلق ووحدات المساعدين، وكلهم من جيش حامية نوميديا، فوصلت إلى "أقناب" بالأطلس الصحراوي عبر تتبع القواعد العسكرية المشيدة في تلك الفترة على ليمس "ترايانوس" إلى شرق الحضنة في مسيرة سير تجاوز امتدادها 400 كلم. وحسب تصويره كانت "أقناب" لا تزال مجرد نوع من القواعد المتقدمة، وأن "قاتولوس" عاد بصحبة فريقه المغامر الذي رد الشكر والجميل للآلهة على تيسيرها للمهمة وعلى إجازة الترقية للقيادة المثوية. وأن الأهداف الحقيقية للغارة التي وُجهت من الشرق إلى أقصى الغرب تتمثل في أن الإمبراطورية كانت تحارب تمرد عام لقبائل بجنوب المغرب الحالية، وبالأخص جيتول الأتولول (Gétules Autololes)، فهؤلاء البدو المخيفين كانوا مستقرين بمراعي جنوب الأطلس الكبير صيفا، في حين يمضون الشتاء عبر الهضاب العليا للتخوم الجزائرية-المغربية، وصولاً حتى أسفل ملوية. فتتحرك الرومان ضد هذه المجموعة في أواسط القرن الأول ميلادي بقيادة "سويتينيوس بولينوس" (Suetonius Paulinus) الذي كان أول من حاربهم. وعليه، فإن الهضاب العليا المغربية المسكونة اليوم من قبل قبائل "بنو غل" (Beni Guil/Gil)-الجنوب الوهراني وإقليم فجيج-مثلت الهدف الاستراتيجي الأكيد. وأنه من الوارد أن يكون هدف غارة "قاتولوس" رصد عودة المغيرين المكلفين بجلب المنهوبات والذين يأتون لاستلامها في تلال الطنجية والموريطانية، ويعتقد أيضاً أن الحملة اندفعت بعيداً عن القاعدة وأنه خطط لها منذ فترة قبل تنفيذها (Picard, 1947, pp. 58-61).

وتصور "بينابو" أن تدخل المفزة جاء في سياق صعوبات ومشاكل أمنية واجهتها الموريطانيون نتيجة هجمات قبائل الموريين منذ عهد الإمبراطور "هادريانوس"، ورغم أنه تم التحكم في بعض هذه الصعوبات لبعض الوقت بموريطانيا الطنجية وبرقعة مور التل الأوسط (أصدقاء لروما) وأولئك القاطنين بمنطقة الريف (هزموا)، فإن الأمر كان مختلفا بالقيصرية التي كانت محتاجة لهذا التدخل العسكري في ربيع سنة 174م. وقد تشكل طاقم الحملة من مفزة من فرسان الفيلق، الجناح الفلاوي، وكتيبة الكوماجينيين التي حسب رأيه ضمت "هجانة" في صفوفها مهمتهم ربما مراقبة تحركات الرحل الصحراويين، وهو ما لا يمكن تأكيده. على أن وجود قوات فيلقية ومساعدين في منطقة جبلية واقعة جنوب القيصرية، مثلما قد يكون أمرا عاديا باعتبار أن ذلك النوع من الأقاليم يمكن التحرك إليه لحماية المصالح الرومانية، فقد يكون استثنائيا كما يعتقد "رومانيلي"؛ حسب رأيه العملية تشير لحدوث اضطرابات امتدت إلى الطنجية وإسبانيا واستدعت التدخل للمساهمة في إخمادها (Benabou, 1976, pp. (Romanelli, 1959, p. 369). 150-151).

في الواقع، اشترك العديد من الباحثين الآخرين في هذا التصور: اعتبره "كانيا" رتلا وجه نحو الحدود القصوى للهضاب العليا لحماية نوميديا من هذه الجهة، وأنه رغم تحقيقها للنجاح، إلا أن إخضاع الموريين بقي مسألة ظاهرية (خادعة) (Cagnat, 1912, p. 51). وقد ركل من "لابروس"، و"لسشي" والباحث الإيطالي "مان" هدف العملية التي شارك فيها الجناح الفلاوي كان قمع انتفاضة للموريين القاطنين بالأطلس الصحراوي للإقليم الوهراني (Leschi, (Labrousse, 1938, p. 358). 1957, p. 72) (Manna, 1970, pp. 41-43).

ويرى "لوبوهاك" أن هناك عنصران أساسيان مفقودان حرمانا من التعرف على هدف العملية: عدد أفراد الجنود المرصودين للعملية والذين لم يتم ذكرهم ومن الصعوبة تقديم عدد لهم، ونضيف إلى ذلك أنه لم يتم العثور على معسكر في موقع اكتشاف النقيشة، فلو تم التأكد من وجوده، لما كان بالإمكان تقديم تصور مغاير. وعبر معرفة قائد الحملة وهيئة أركانه: قائد عشرة رقي لرتبة قائد مائة يساعده زملاؤه التسعة المذكورون، ومع حرصه على تجنب تقدير لعدد القوات، فإنه تصور أنه بالضرورة عدد قليل (متواضع)، قد يكون بالعشرات أو أكثر بقليل، ما يجعلها تشكل "مفزة" أسندت قيادتها لشخصية أكثر أهمية. وهذه المعاناة هي هامة في محاولة البحث عن الهدف من الحملة، والذي لتحديد دار نقاش حول تفسير مقطع من نقيشة يتضمن عبارة: "Genio summo Thasuni et deo siue deae, numini sancto, leones in diebus XLf()" التي تقدم عديد التفسيرات: تفسير أنها قد تكون رحلة صيد بالتعويل على القراءة "f(erii)"=الحيوانات الشقر، وهي قراءة من الصعوبة الاحتفاظ بها لافتقادها للفعل يأمر (يطلب) الأسود (leones)، كما أن الاختصار "f(erii)" لا يتبع بالإشارة إلى بعض أنواع الحيوانات المصطادة.

لذلك، يفضل قبول فرضية أن العمل ذو طابع عسكري، وبالتالي لابد من قراءة "leones feci" على شكل "قمت بنحت أسود (على الحجارة)". ويشجع على هذا التصور أن هذا الحيوان مُكرس للإله "ساتورن" وأن منطقة "آقناب" تحوي العديد من الرسوم الصخرية التي توثق وجود ثروة حيوانية متنوعة بها، وكذلك أن الآلهة تم شكرها على حمايتها للقوات وعودتها سالمة إلى المعسكر. في المقابل، نعلم أن موريطانيا الطنجية كانت في ذلك الوقت فريسة لغارات من يسمون "البرابرة"، وبالأخص أولئك القاطنين في جنوب حوض وادي ملوية الذي شكل منطقة للترحال. وعلى الرغم من أنه لا يمكن التغاضي عن المسافة البعيدة بين "الملوية" و"آقناب"، فإنه من غير المستبعد أن المفوض الإمبراطوري أراد المبادرة إلى إجراء يمكن أن يساعد حاكم موريطانيا القيصرية (أو الطنجية) بإرسال قوات تدعم جيشه على قمع الانتفاضة.

لكن في الحقيقة، تمنع الضئالة العددية لقوات البعثة، رحابة البلاد، والصعوبات الناجمة عن التضاريس والمناخ، من الاعتقاد أن هؤلاء الجنود كانوا في مهمة حربية ولهم القدرة على شن هجمات واشتباكات قتالية. بناءً على ذلك، يرى "لوبوهاك" احتمالاً أكثر قبولاً واقناعاً: الرصد والاطلاع اللذان يسمحان باستكشاف أراضي "المتمردين" وإخافتهم من خلال إظهار أنه بالإمكان مهاجمتهم من الخلف (le Bohec, 1989-1, pp. 380-381) (Picard, 1947, pp. 58-60, n° 47) (Leglay, 1966, pp. 140, n° 10). لكن هل فعلاً يمكن إخافة قبيلة (شعب) بعشرات الرجال؟ نشك في هذا الاحتمال المقترح. وبدوره أعطى "سلامة" للعملية بعداً مختلفاً حين راح يعتبرها استمرارية لسياسة تهيئة معسكرات "مجدل" و"حمام الشارف" اللذان شكلا نقاط استناد للشروع في التحكم بالسكان الرحل أو المنتجعين في المنخفض الأوسط الكبير (Salama, 1991, p. 105). خصص "لغراند" دراسة للنقيشة، حيث اعتبر أنه قبل أن يغادر "قاتولوس" لأداء مهمته صاغ ندور ليست تيمنا بنجاح حملته، بل لحصوله على الترقية التي كان يطمح لها. لذلك نجده في الوثيقة يذكر كل الآلهة والربات، وكذلك ثاسونوس الذي هو إله موضعي (الإله الحامي للمكان)، إله للقمم، أو إله حامي لمدينة صغيرة قريبة. وكامتنان لترقيته (أو ذكرى ترقيته) نحت "قاتولوس" أسوداً على الحجارة وهي عملية يمكن وصفها بالتكريمية للأعراف المحلية (الإله ساتورن).

بهذا الخصوص، تم العثور على تمثيلات للأسود بالمنطقة، لكن كرسوم صخرية يصعب تأريخها، وبرفقتها أحياناً كتابات بالليبية، على أن حيوان الأسد لم يشكل فيها إلا عنصراً من بين العديد من الحيوانات الرمزية. وبعد اعتباره أنه لا جدوى من اعتبارها رحلة لصيد الأسود، راح يقدم تصوراتهِ للمسألة التي تنطلق أولاً من معرفة هل كان للبعثة معسكر، فمحرورو مُدونة النقوش اللاتينية يحددون أنه بالقرب من البيض كان هنالك "مركز عسكري بالصحرَاء الوهرانية"، وهو ما يضع معسكر قاتولوس بمنطقة قاسية؛ في الواقع يستفيد جبل "عمور" من كمية أمطار مقبولة وتقع "آقناب" بحوض وادي، ما يضمن العشب لتغذية الأحصنة، وحرر النص في أواخر

ماي-بداية جوان، ما يعني أن المهمة تمت في فصل الربيع، وهو الموسم المناسب، ولم يكن هنالك أي مشكل في ضمان التموين الغذائي لحيواناته ورجاله. ثم لفت "لغراند" الانتباه إلى الكفاءة القتالية لجنود البعثة الذين كانوا محط مدح من قبل "هادريانوس" سنة 128م، فسرية فرسان الكوماجينين يمكن اعتبارهم قوات نخبة قادرة على إكمال غارة بواقع سير قدره حوالي 30 كلم في اليوم. لكن رغم ذلك، فإن هذه القوات حسب رأيه هي قليلة العدد لتواجه عدد هام أو منظم، لهذا وجب اعتبارها وحدة استطلاع واستكشاف، مع استبعاد فرضيات كونها رحلة صيد، أو أنها عملية مضادة لإغارة، ولا كونها حملة لإرهاق الهجانة الرحل. ومن الصعوبة أيضا ربط هذه البعثة بالاضطرابات التي كانت تشهدها الموريطانيتان وبايتيكا في 170-174م، فهذه القوات القليلة لا يمكنها أن تهاجم المتمردين من الخلف، بل مجرد إرسال تقارير إلى "لامبايزيس"، ما يسمح بإرسال قوات رومانية للتدخل بفعالية في "بايتيكا" أو بمنطقة الريف (Legrand D., 2008, pp. 73-82).

وتتصور "حمدون" أن الأمر قد يكون متعلقا بمطاردة نهايين (الفرق بين قطاع الطرق latrones والمتمردين rebelles لم يكن واضحا من الناحية القانونية) قدموا من المناطق الصحراوية دون أن يحترموا قواعد وقوانين المرور المفروضة على المنتجعين من قبل الرومان. مع ذلك، فإنه بغية تقديم أبعاد إضافية للعملية، والتي تلح على كونها مهمة استكشافية نفذت في الحقيقة من قبل مفارز أخرى في مختلف أرجاء الإمبراطورية، قدمت الباحثة عديد الأمثلة وعلى رأسها الحملة التي قادها "ق. هوسيديوس غيتا" (C. Hosidius Geta) سنة 43م غداة إلحاق مملكة "موريطانيا" ضد المتمردين الذين يقودهم "سالابوس" (Salabos) أين وصل إلى الصحراء (Cassius, 1924, pp. LX, 9, 20). ونجد التدخل العسكري "لسويتينوس بولينوس" الذي أخذ الطابع الاستكشافي حين عبر الأطلس في بداية حكم "قلوديوس" (Elder, 1942, pp. V, 16). وأيضا حملة المفوض "سبتيميوس فلاقوس" على الغرامنيين في بداية حكم "دوميتيانوس" (Ptolemy, 1991, pp. I, 8, 4). إذن، يمكن مقارنة عملية "قاتولوس" في جبال "عمور" بالحالتين الأخيرتين، لأننا نجد بالنقيشة تفاصيل تُظهر بأن العلاقات أقيمت مع الأهالي وأن العسكريين الرومان تمكنوا من مراقبة ما قدموا لرؤيته، وهو ما يفسر ربما استخدام الفعل "شرح=روى explicare" لتحديد التقرير المُحرر من قائد المائة. مع ذلك، يوجد فرق في مستوى أهمية المهمة، ففي المثالين المقدمين خلال القرن الأول نجد أن القائد الأعلى للجيش هو من أشرف على قيادة القوات خلال رحلتهم الاستكشافية، وفي حالة "آقناب" الأمر مختلف، فالبعثة عبارة عن "مفرزة" (فصيلة مُدمجة) جد متواضعة العدد.

وقد تكشف النقيشة كذلك عن رد فعل الجنود عندما وجدوا أنفسهم في وسط جبال التخوم، فنقل "قاتولوس" ما رآه بشكل استثنائي: وجود رسوم صخرية للأسود، والتي مثلما توجد بجبال عمور، نجدها أيضا في نواحي أخرى من الأطلس على صخور حُثية تتضمن تمثيلات لحيوانات

متوحشة، بالأخص السنوريات التي يُلاحظ أنها الأكثر تواترا بعد البقريات الكبرى، ونجد أن الأسود تظهر بشكل خاص بالقرب من "أفلو". وهذا يدفع للتساؤل: هل هذه هي الرسوم الصخرية التي لمح إلها "قاتولوس"، والتي اعتبرها كندور لإله الجبل، خصوصا وأن الأسد قد يعتبر ربما حيوان حامي في عقلية المورين؟ ويدفع ذلك للتساؤل لماذا وكيف أخذ "قاتولوس" كل ذلك الوقت للقيام بنحت الأسود على الصخور (40 يوم)؟

في الواقع، لا يمكن إنكار أن تلك الأسود مرتبطة بالتجليات الدينية، فعالم الجبال عند القدماء له بصمة دينية، لهذا نجد أن النقيشة تشير إلى معبود موضعي: "الإله الحامي الأعظم" ثاسونوس"، والذي هو على الأرجح اسم مكان يتوافق مع النسخ=الكتابة الصوتية لاسم ليبي التقطه "قاتولوس" من الأهالي. كما حاول تحديد طبيعة هذا المعبود باستخدام مصطلحات "الإله الحامي genius"، "الإرادة الإلهية" (numen)، قوة المعبود، مسبقة بالتضرع "سواء كان إلها أو ربة" (deus sive dea). وهذه المعجمية الدينية المستخدمة في النقيشة يظهر التردد والخشية من الوقوع في خطأ ضبط هوية الإله. لهذا نجده استخدم كل المفاهيم الدينية للتعبير. والأكيد أن "قاتولوس" كان يواجه فضاء مجهول، غريب وعدائي، ما يحرك مشاعرا دينية. وبالنسبة له كذلك، ترمز الأسود لقوة الإله الذي يتواجد في هذه الأماكن، وهو إله لابد من احترامه. وهذا التصرف يظهر سلوكا متواترا في الأوساط العسكرية مرتبط بتقديم الإهداءات الدينية لمعبودات حامية (حارسة) للأمكنة، وهذا ما تؤكد العديد من الإهداءات للآلهة المورية والمدروسة من قبل "كامبس" (Hamdoun, 2012, pp. 197-199). (Camps, Qui sont les Dii mauri ?, 1990, pp. 131-153).

إن الفهم والمعرفة الجيدين للتراتبية والوحدات المشاركة في العملية قد يسمحان بالإجابة عن السؤال الأصعب في هذه النقيشة: ما الهدف الذي سعى الجنود لتحقيقه من هذه الرحلة أو المهمة؟ إن بناء تصور على كونهم أفراد "محطة" تواجدت "بأقناب" مستبعد، لأنه من ما أثر على ذلك. كما أن فرضية ملاحقة تهابين (القيام بدور رجال الشرطة) تبدو غير مقنعة، فهل تعرف الفصيلة المدمجة مكانهم؟ وهل يجرو "قاتولوس" بهذا العدد المتواضع على التوغل في أراضي غير خاضعة للرومان والعودة سالما؟ إن هذان السؤالان يقودان لاستبعاد فرضية الملاحقة، فنوع القوات وعددها لا يسمحان بالمرافعة لصالح فرضية أن التحرك كان بغية عمل قتالي، مع الحفاظ على هدف الاستطلاع والاستكشاف. ثم ما الذي يؤكد أن كل الجنود عادوا؟ لا شيء مؤكد. ومن غير الدقة اعتبار أن "أقلية من الجنود تم استدعائهم للعب أدوار تكتيكية". علاوة على ذلك، لم تقف الفرضيات على ما قيل، بل هناك من راح يعتبر أن تلك القوة العسكرية شكلت ما يمكن تسميتهم "بالمستعرضين للقوة" (gesticulation)، أي فرقة هدفها إظهار قوتها دون استخدامها/

وهذا بهدف التخويف، فيقومون بإظهار راية البعثة لكي يرى العدو المحتمل أنه بإمكانهم التدخل وأنهم على استعداد لذلك (Hamdoune, 2012, p. 192).

على أنه حاليا، وبفضل مؤلفات حديثة واكتشافات نقائشية جديدة أصبح بالإمكان تحقيق فهم أفضل لطبيعة المهمة. والبدية مع المؤلف الهام للباحثين "رانكوف" و"أوستين" (Austin, 1995, pp. XIII-292p) ومقال "روسيل" (Russell, 2011, pp. 474-492)، والذين كشفوا أن العديد من الباحثين أطلقوا بكل رعونة على هذا النوع من العمليات تسمية "مهمة استكشافية". كما أنه لا علاقة تجمع بين ما قام به "سويتينيوس بولينوس" و"سبتيميوس فلاقوس"، وكلاهما ليس عمليتي استعلامات، فما طبيعة العملية إذن؟ لقد كان يطبق ويمارس الجيش الروماني مهمات "الاستعلامات" "renseignement"، أي جمع الأخبار والمعلومات، والتي تطلق عليها الكتابات الانجليزية اليوم "الاستخبارات" "intelligence"، وكان له اختصاصيين في البحث عن المعلومات. وهذه الاستعلامات التكتيكية النشطة كان يمارسها ضباط صف يطلق عليهم كما أشرنا "الحراس الشخصيون والكشافون" والاستطلاعيون، أي الاستكشافيون، وكلاهما يتحصلان على راتب ونصف وكذلك أعوان الاستخبارات العسكرية والذين يمارسون استعلامات تكتيكية مستترة من خلال استجواب التجار والمسافرين على وجه الخصوص، ويمارسون كذلك الاستعلام الاستراتيجي. وفي حالة الاستعلام النشط يُمكن أن يرسل القائد بعيدا عن الحدود وحدات أو مجموعات من الجنود مثلما حدث في "أقناب". لهذا يمكن اعتبار أن المهمة الرئيسية وربما المهمة الوحيدة لقاتلوس ورجاله تقوم على العمل لتحقيق الاستعلام الاستراتيجي النشط. وفي نهاية المهمة، تم نقل كل المعلومات، الأخبار والإفادات المتحصل عليها إلى قائد الجيش، وهو المفوض "م. إيميليوس مافر" الذي أسند هذه المهمة لرجل ثقة يشغل وظيفة القيادة المثوية، والذي اعتبره الرجل الأفضل لهذه المهمة (le Bohec, 2015, pp. 216-217).

على أن السؤال المطروح: ما هي الجماعة البشرية التي عملت البعثة على التجسس والاستعلام عليها؟ لقد اكتشف مؤخرا نقيشة في "خناق عزير" الواقعة على بعد 25 كلم من البيض و60 كلم إلى الجنوب-الغربي من "أقناب" والتي تترجم كالتالي: "نذر مُكرس إلى الإله "يوبتر" الأفضل والأعظم، وإلى الآلهة الحامية. "ق. أوكتافيوس بودنس (C. Octavius Pudens)، وكيل الإمبراطور "سبتيميوس أغسطس" أقامها بعد مذبحه وأسر "البوارين" (Bavares). ومن خلال الإشارة لوكيل الإمبراطور على موريطانيا القيصرية هي مؤرخة ببداية حكم الإمبراطور "سبتيميوس سيوروس" بين 198-200م. وشعب "البوارين=البوار" نمتلك شواهد له في الجزء الغربي من موريطانيا القيصرية ونوميديا. لهذا فإن أهمية هذه النقيشة تكمن في أنها لا تقود لتوسيع أراضي (إقليم) هذه القبيلة فقط، بل تظهر أن نطاق عمل السلطات الرومانية في جنوب ما يسمى الليمس السوري قبل وصول الأسرة السورية للعرش، أي في المجال الانتقالي بين التل والصحراء،

كما تعد هذه الوثيقة أقدم شهادة توثيقية لهذا الشعب. على أننا نجهل سبب الصدام الذي حدث بين هذه القبيلة والجيش الروماني في أواخر القرن الثاني ميلادي، ما فتح الباب لتفسيره بتعدي (غصب) السلطات الرومانية لأراضي تنتمي لهذه القبيلة بغية إنشاء طريق أو حصون صغيرة. وعليه، يمكن افتراض أن "البيض" كانت مخفر أمامي وكانت موصولة ببعض بطريق ترابي (مفروش بالحصى) يطوف حول الشطوط نحو الجنوب.

وإذا كان "سليم دريسي" يعتقد أن "بوار" البيض ينتشرون إلى جنوب الشط الشرقي (بجواره شيد معسكر مجدل)، فإن "بن صديق" و"لابورت" يطابقونهم مع المذكورين في نص شرشال (C.I.L, VIII, p. 9324) المُسمّون "ببوار ما وراء الأهوار (babari Transtagnenses)" والذين يصنّفون عموماً على كونهم سكان مستقرين دخلوا في صراع مع روما، إما بمناسبة انتجاع استثنائي أو نتيجة محاولة السلطة الرومانية السيطرة على أراضيهم. وقد تكون هذه المنطقة ربما أكثر كثافة بالسكان خلال الفترة القديمة، ويبدو أن الرومان عملوا إما على إخضاعهم، أو التقليل من خطرهم (A.E, 2014, p. 1590) (Drici, 2015, pp. 51-65) (Benseddik, 2016, pp. 409-419) (Camps, 1991, pp. 1394-1399).

وبفضل هذه النقيشة الجديدة أصبح بالإمكان الوصول إلى تصورات جديدة؛ الفصيلة تحركت في إطار مهمة استطلاعية (استعلامية مخبرية) للمنطقة، التعرف والتجسس عن هذا الشعب القاطن بجبال عمور، والذي نتصور أنه شكل قوة ديمغرافية أصبحت تثير مخاوف السلطات الرومانية، فتمكنت البعثة من تحديد موقعه، أنشطته ومقدار قوته، وهذا كتمهيد لإقامة حصون صغيرة تراقب تحركاته وتحمي الحدود الرومانية عبر مخافر أمامية. وهذه النوايا العسكرية أدت إلى اصطدام حربي مع البوار في بدايات حكم الإمبراطور "سبتيموس سويروس" نتيجة مساعيه للاستيلاء على أراضيهم وإحاقها بمقاطعة موريطانيا القيصرية. بذلك، نتصور أن هذه المهمة الاستعلامية سمحت للرومان بتعزيز معارفهم حول شعب يقطن على التخوم النوميديّة-الموريطانية، وبضبط الآليات العسكرية والدفاعية للتعامل معه (ينظر الملحق 02).

وللدفاع عن هذا التصور، نجد أن هذه المهمة وردت باسم الحملة (expeditio)، ودراسة المصطلح في المعجم (Thesaurus) ومن خلال النقوش، يقود إلى أنه مصطلح لم يكن في الأصل ذا دلالة عسكرية، فهو مشتق من الفعل "expedire" (يعني شرح، عرض، قص) الذي ينتهي لعائلة "pedica" (وصلات القدم أو عقال يوضع على أقدام الخيول). وفي عهد الزعامة (principat) استخدم لتمييز الجنود الذين خففوا حمولتهم من الأشياء غير الضرورية للذهاب بشكل أسرع. شيئاً فشيئاً أخذ معنى "الحمولات"، جزءاً من الحرب أو حتى الحرب بأكملها، وذلك بالأخص في المصادر النقائشية. وتتوافق هذه الكلمة حالياً في ترجمتها مع المصطلح الإنجليزي "غارة raid" الذي يعني عملية عسكرية دقيقة تهدف للاقتحام أو توغل عميق في أراضي العدو من قبل وحدة متحركة بغرض الاستطلاع، جمع المعلومات الاستخبارية، والتي يتم فيها أحياناً أسر بعض الأشخاص

لاستجوابهم، وقد يمارس فيها التخريب والتدمير، وهذا ما نعتقد أنه تم في هذه المهمة الاستخباراتية (le Bohec, 2007, pp. 212-218) (le Bohec, 2015, pp. 217-218).

5-خاتمة:

-لقد ساهم تحول الرومان إلى حكم الرجل الواحد في تعزيز السيطرة المركزية والتي اختصت بتعيين حكام المقاطعات الحدودية، وكل هذا زاد من الاهتمام بمسألة جمع المعلومات وخلق التفوق الاستخباراتي. لذلك، كانت منظومة اللميس والطرق والجنود المختصين في الاستعلامات تسمح بجمع أكبر للمعلومات والتحرك والتدخل بسرعة في حالة الخطر. تبعًا لذلك، يمكن القول إن منشآت خط اللميس ساهمت في تحديد الشعوب التي يتوجب التعامل معها وتراكم المعارف المتنوعة عنها. ومن المرجح أن القيادة العسكرية لكل مقاطعة امتلكت أرشيفا استخباراتيا وخليّة لمعالجة المعلومات وعلى أساسها يتم اتخاذ قرارات وتدابير أمنية. حرصت القيادة العسكرية على إنشاء مراكز أمامية ووحدات استطلاع محلية وشبكة من الضباط موزعين على الطرق العسكرية للمقاطعة.

-إن تفوق الجيش الروماني في بلاد المغرب لا يعود فقط إلى هيمنته في ساحة المعركة، بل أيضا إلى قدرته على الحصول على معلومات وأسرار خاصة بالعدو. ومن خلال هذه الوثيقة نكتشف أن قوات الاستطلاع والاستكشاف للجيش النوميدي كلفت بمهمة بعيدة عن قواعدها ونعتقد أنه بعد انتهاء المهمة حدثت تحركات حربية ضد قبائل البوار أو أن عملية استكشافهم تواصلت حتى بداية القرن الثالث ميلادي أين شن حاكم موريطانيا القيصرية حملة ضدهم والتي سمحت بقمع أي هجمات عدائية على اللميس النوميدي والموريطاني انطلاقا من تلك الجبال. ونتصور أن التوسع الذي تم في منطقة الحضنة وجبال أولاد نايل خلال الفترة السورية جاء بعد عديد المهام الاستخباراتية وتراكم المعارف حول جغرافية تلك المناطق وسكانها، ما يظهر أن معرفة شكل التضاريس ومواقع انتشار العدو ومقدار قوتهم ومهاراتهم عوامل مهمة لتحقيق الانتصار.

-على الرغم من أن النقيشة لا تقدم إفادة حول هدف العملية ولا مجرياتها، إلا أنه وفقا لاعتقادنا، فإنها عملية استخباراتية دامت أربعين يوما في جبال عمور، نتصور أنها قد تكون تمت بطرق مختلفة: اتخاذ قاعدة عمل أساسية يبقى فيها بعض الجنود ويتحرك آخرون والذين ربما برفقتهم من يتقن لغة السكان المحليين. ومن الوارد أنهم حصلوا خلالها على متعاونين من سكان ذلك الأقاليم. واضطروا أحيانا لأسر بعضهم لاستجوابهم أو إغرائهم بالمال لتقديم إفادات متنوعة.

-كان هدف قوات العملية جمع معلومات عن عدو ظهر في جبال عمور وهم "بوار ما وراء الأهوار" (الشط الشرقي) والذين تزايدت قوتهم، وسيظهر ذلك بشكل أفضل خلال القرن الثالث ميلادي. وكذلك التعرف على تضاريس وطبيعة تلك المنطقة. ومن الطبيعي ألا يصرح في النقيشة عن طبيعة العملية وهدفها وأن يقدم انطبعا مختلفا (عملية صيد مثلا). ومن المرجح أن هؤلاء أخفوا أصولهم العسكرية وارتدوا لباسا محليا واكتفوا بالمراقبة الدقيقة للفضاء المحيط "بأقناب" مع الاحتفاظ

بمسافة الأمان. وعند نهاية المهمة نقل القائد تقريراً مفصلاً عنها للقائد الأعلى للجيش، والذي أفاد به حكام الموريطانيّين.

-إن هذا الطرح يدفع لاستبعاد الطابع العسكري لصالح العملية الاستخباراتية، وهو الأمر الذي كان معتاداً في مختلف النواحي الواقعة ما وراء المناطق الخاضعة فعلياً للرومان. فسعت من خلالها القيادة العسكرية للحصول على معلومات ومعارف تسمح بوضع استراتيجية دفاعية وعسكرية للتعامل مع عدو اقترب منه الرومان عبر التواجد في الشط الشرقي، ونتصور أن هذا العدو (البوار) بدأ الرومان يخططون لإخضاعه واحتلال أراضيه منذ هذه الحملة، ليتجسد هذا ربما بشكل أوضح في عهد الأسرة السورية. مع ذلك لا يمكن استبعاد فرضية أنها قد تكون عملية لاستعراض القوة الرومانية بهدف إخافة البوار بإمكانية استخدام الرومان للقوة العسكرية ضدهم، وأنها كانت دورية بعيدة في هذه المنطقة الفارغة التي ينتقل فيها الرحل بقطعانهم بهدف استكشافها. ومن المرجح أن هذه الغارة الاستعلامية استهدفت تعميق المعارف حول وادي جدي. لذلك لا نستبعد أنها انطلقت من معسكر "القصباء" وصولاً إلى وادي مزي، وذلك في إطار استراتيجية عسكرية تهدف لإقامة معسكرات جديدة على امتداده، وهو ما تجسد بوضوح في عهد الأباطرة السوريين. ومع استبعاد فرضية العملية العسكرية، فإن النقيشة حديثة الاكتشاف تعطينا فكرة واضحة عن حالة الاضطراب التي شهدتها المنطقة في أواخر القرن الثاني ميلادي.

الملحق 01: صورة النصب الحجري المتضمن النقيشة الإهدائية المنحوتة من قبل قائد المائة

"قاتولوس" بأقناب في جبال عمور سنة 174م



المرجع: (اقناب_حجر/ar.wikipedia.org/wiki/)

11. de Villefosse, H. (1883). Inscription Romaine découverte près d'Aflou, province d'Oran. Rapport sur une communication du Docteur Henri Colin, médecin Major au 2e Régiment de tirailleurs. B. du Com. des Trav. Hist. et Sc. Archéologie.
12. Dion Cassius .(1924) .*Roman History, Translated by Earnest Cary, Herbert B. Foster* .Cambridge: Harvard University Press.
13. Drici, S .(2015) .Inscription inédite des Bavares d'El Bayadh et les troubles au Maghreb ancien .*Ikosim*. 4.
14. Faure, P .(2007) .Le suffragium legionis: une forme d'expression des soldats dans l'armée impériale. J Dalaison (ed), *Espaces et pouvoirs dans l'Antiquité . De l'Anatolie à la Gaule* .Grenoble: CRHIPA.
15. Gilliam, J. F .(1940) .The ordinarii and ordinati of the roman army .*TAPhA*.
16. Gsell, S .(1911) .*Atlas archéologique de l'Algérie* . Alger: Service Géographique de l'Armée.
17. Hamdoune, Chr (2012) .Soldats de l'armée d'Afrique en mission : à propos de CIL VIII, 21567, Agueneb, Djebel Amour .*Aouras*. 7.
18. Josephus .(1927) .*The Jewish War, Volume II: Books 3-4. Translated by H. St. J. Thackeray* .Cambridge: Harvard University Press.
19. Labrousse, M .(1938) .Inscriptions de la région de Zraia et de Tarlist (Constantine) .*Rev.Afr.*52.
20. Laporte, J. P et Benseddik, N .(2016) .Les Bavares transtagnenses, peuple de Maurétanie césarienne .C et Faure, P Wolff, *Les auxiliaires de l'armée romaine. Des alliés aux fédérés* .Lyon-Paris: De Boccard.
21. Leglay, M .(1966) .*Saturne Africain. Histoire* .Paris: de Boccard.
22. Legrand, D .(2008) .Un raid d'exploration dans l'ouest Algérien .*Revue d'études archéologiques*.v 06, 01.
23. Le Bohec, Y .(1-1989) .*La Troisième Légion Auguste* .Paris: CNRS.
24. Le Bohec, Y .(2-1989) .*L'armée romaine sous le Haut-Empire* .Paris: Picard.
25. Le Bohec, Y .Expeditio .Y le Bohec (ed): *L'armée romaine en Afrique et en Gaule* .Stuttgart: F. Steiner.
26. Le Bohec, Y .(1-2012) .Décurions et centurions auxiliaires sous le Principat en Afrique-Numidie .*Acta Classica*. 55.
27. Le Bohec, Y .(2-2012) .Le recrutement de trois centurions de l'armée d'Afrique .*Mélanges Pierre Morizot, Aouras*.7.
28. Y Le Bohec, (2015). Raid sur El Agueneb. *Epigrafica*, 77(1-2).
29. Le Roux, P .(2012) .Duplicarius, duplarius, sesquiplicarius : un réexamen. C Wolff (ed). *Le métier de soldat dans le monde romain*. Lyon-Paris: De Boccard.
30. Leschi, L .(1957) .Rome et les Numides. L Leschi, *Études d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines*, Paris: Arts et Métiers graphiques.
31. Manna, M. G .(1970) .*Le formazioni ausiliarie di guarnigione nella provincia di Numidia da Augusto a Gallieno* .Roma.
32. Morizot, P .(1999) .La présence romaine dans le Djebel Amour (Algérie): apport des images Spot et de la photographie aérienne . X. Dupuis, Cl. Lepelley (ed), *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique*. Paris :Éditions de la Sorbonne.

33. Morizot, P .(2011) .De Mommsen à Google Earth : ©les avatars de l'inscription d'El Aguenéb (CIL, VIII, 21567) .*Latomus*. 331.
34. Nelis-Clément, J .(2000) .*Les "Beneficiarii" : militaires et administrateurs au service de l'empire : Ier s. a.C.-VIe s. p.C* .Bordeaux: Ausonius.
35. Pflaum, H. G .(1956) .La carrière de G. Aufidius Victorinus, condisciple de Marc Aurèle .*C.R.A.I.* 100-2.
36. Picard, G. C .(1947) .*Castellum Dimmidi* .Paris: de Boccard.
37. Pliny the Elder .(1942) .*Natural History, Translated by H. Rackham* . Cambridge: Harvard University Press.
38. Ploton-Nicollet, F, Morizot, P .(2014) .El Aguenéb : le commandant de l'expédition organisée par M. Aemilius Macer célèbre le renfort que lui a apporté la IIe cohorte des Africains .*REL*.
39. Pseudo-Hygin .(1979) .*Des Fortifications du Camp. traduit et commenté Maurice Lenoir* .Paris: Les Belles Letters.
40. Romanelli, P .(1959) .*Storia delle Province Romane dell'Africa* .Rome: L'Erma' di Bretschneider.
41. Russell, F .(2011) .Finding the enemy : military intelligence .B Campbell and Lawrence A. Tritle, *The Oxford Handbook of Warfare in the Classical World*. New York: Oxford University Press.
42. Salama, P .(1991) .Quelques incursions dans la zone occidentale du limes de Numidie . *Antiquités africaines*. 27.
43. Tacitus .(1925) .*Histories: Books 1-3. Translated by Clifford H. Moore* . Cambridge: Harvard University Press.